

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ خُلُقَ الْمَشَارِكَةِ مِنَ الْقِيَمِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي دِينِنَا. فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي لَا يَنَامُ شَعَانَ وَجَارَهُ جَائِعٌ، وَمِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ كِفَالَةُ الْإِيْتَامِ، وَالِاهْتِمَامُ بِالْفَقِيرِ، وَمَدُّ يَدِ الْعَوْنِ لِلْمُحْتَاجِينَ. إِذْخَالَ السُّرُورَ عَلَى قَلْبِ قَوْبِرٍ وَاسْتِجَابَةُ دُعَاءِ يَتِيمٍ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرِّحِيقِ الْمَخْتومِ وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ» يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ وَنَعَكْسَهَا فِي تَعَامُلِنَا مَعَ النَّاسِ.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ (٣٤)

سورة الحج، ٣٤

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ:

« أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ... »

الترمذي، صفة القيامة، ١٨

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

وَمُنْذُ سِنَوَاتٍ تَقُومُ جَمْعِيَّتُنَا بِتَنْظِيمِ مَشَارِيحِ الْمُسَاعَدَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْأَضْحَاجِ بِنَجَاحٍ، وَهَذَا الْعَامَ أَيْضًا نَسْتَقْبِلُ أَضْحَاجِكُمْ. فَيَمَكِّنُكُمْ أَنْ تُؤْكَلُوا جَمْعِيَّتِنَا فِي ذَبْحِ الْأَضْحَاجِ وَالتَّبَرُّعِ بِهَا وَتَنْشُرُوا رُوحَ التَّكَاثُلِ وَالْعَطَاءِ بَيْنَ الْمُحْتَاجِينَ.

يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الْقَادِمِ سَتَبْلُغُ عِيدَ الْأَضْحَى الْمُبَارَكِ وَنَذْبِيحُ أَضْحَاجِنَا. الْأَضْحِيَّةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ ذَبْحِ حَيَوَانٍ فَقَطْ، بَلْ هِيَ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ وَتَعْبِيرٌ عَنِ خُضُوعِ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ لَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْعَايَةَ مِنَ الْأَضْحِيَّةِ الْإِخْلَاصُ وَالتَّيَبُّهُ الَّذِي تُوَدَّى بِهَا. وَلِذَلِكَ عِنْدَ الذَّبْحِ يَجِبُ أَنْ نُرَاجِعَ أَنْفُسَنَا، وَنُطَهِّرَ قُلُوبَنَا، وَنُجَدِّدَ بَيِّنَاتِنَا وَنُخْلِصَهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

يَوْمَ التَّلَاثَاءِ الْمُوَافِقِ السَّادِسِ وَالْعِشْرُونَ مَارَسَ هُوَ يَوْمَ عَرَفَةَ، الْيَوْمَ التَّاسِعُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ. وَقَدْ قَالَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَجُّ عَرَفَةَ». فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ يَكُونُ الْحُجَّاجُ وَاقِفِينَ عَلَى جَبَلِ عَرَفَاتٍ، يَفَكِّرُونَ فِي غَايَةِ وُجُودِهِمْ وَيَعِيشُونَ مَشْهَدًا يُذَكِّرُهُمْ بِيَوْمِ الْحَشْرِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ تَعَالَى. وَبِهَذَا الْوَقْتِ يَتَحَوَّلُ النَّدْمُ إِلَى تَوْبَةٍ وَدُعَاءٍ، وَكُلُّ الْحُجَّاجِ يَدْعُونَ اللَّهَ رَجَاءَ الْقَبُولِ وَالرَّحْمَةِ وَدَعْوَةَ فِي حَجِّ مُبْرورٍ وَذَنْبٍ مَغْفُورٍ. نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ حَجَّ إِخْوَانِنَا، وَأَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهُمْ، وَيَجْعَلَ لَنَا نَصِيبًا مِنْ دَعَوَاتِ يَوْمِ عَرَفَةَ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

ذَبْحُ الْأَضْحِيَّةِ إِزْتٌ وَرَثْنَاهُ عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَقَدْ أَكَّدَ اللَّهُ سُخْرِيَّاتِهِ وَتَعَالَى إِخْلَاصَهُمَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ وَتَعَدُّ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنْ أَعْظَمِ صُورِ الطَّاعَةِ وَالِإِخْلَاصِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَعَلَيْنَا نَحْنُ أَيْضًا عِنْدَ ذَبْحِ الْأَضْحِيَّةِ أَنْ نَسْتَحْضِرَ هَذِهِ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةَ، وَأَنْ نَبْتَعِدَ عَنِ كُلِّ مَا يَشْغَلُنَا عَنِ الطَّاعَةِ وَيُعْبِقُ خُضُوعَنَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَفْعَلْ كُلَّ شَيْءٍ ابْتِعَاءً مَرْضَاةَ اللَّهِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْاضِلُ،

وَلَا نُنْسَى أَنْ نَبْدَأَ بِالتَّكْبِيرَاتِ ابْتِدَاءً مِنْ فَجْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَنَسْتَمِرُّ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنَ الْيَوْمِ الرَّابِعِ لِلْعِيدِ، نُكَبِّرُ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ تَكْبِيرَةً وَاحِدَةً: «اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ وَبِاللَّهِ الْحَمْدُ». وَهَذَا عَلَى كُلِّ مَنْ يُصَلِّي سِوَاءَ كَانَ مُنْفَرِدًا أَوْ خَلْفَ الْإِمَامِ أَوْ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً. فَلْنُعْظِمِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَيَّامِ الْعِيدِ بِالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ، وَلْنَسْتَقْبِلِ أَيَّامَ الْعِيدِ بِفَرَحٍ وَسُرُورٍ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْاضِلُ،

وَتَعَدُّ الْأَضْحِيَّةُ مِنْ أَجْمَلِ صُورِ التَّرَاحُمِ وَالتَّكَاثُلِ بَيْنَ الْإِخْوَةِ الْمُسْلِمِينَ. فَمُشَارَكَةُ لَحْمِ الْأَضْحِيَّةِ مَعَ الْمُحْتَاجِينَ تَقْوِي رُوحَ التَّضَامُنِ بَيْنَ النَّاسِ. فِي يَوْمِنَا هَذَا يُعَانِي الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْجُوعِ، وَالْأَضْحِيَّةُ تَذَكِّرُنَا بِالمُشَارَكَةِ مَعَ إِخْوَانِنَا. يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا هُوَ أَمَانَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَعَلَيْنَا أَلَّا نَعْمَلَ عَنِ الْمُحْتَاجِينَ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يَنْبَغِي أَلَّا نَجْعَلَ الْعَطَاءَ مَقْتَصِرًا فِي الْعِيدِ فَقَطْ، بَلْ يَكُونُ مِنْهَا جَانِبًا ثَابِتًا فِي حَيَاتِنَا.

